«سيزيف» ...
صخرة منقّحة

هنري زغيب

... وحكمَت الآلهة على «سيزيف» أن يرفع صخرةً هائلة من قعر الوادي إلى قمة الجبل حتى إذا بلغ القمة، بعد آلاف من السنوات، تسقط الصخرة من جديد إلى الوادي فيعود يرفعها طوال آلاف السنوات من جديد، لتعود فتسقط ويعود فيرفعها... في عملٍ يائس بدون نهاية.

عيناي مُغمضَتان من ولَعٍ
وبابُكِ مُغلَقٌ دون الصباحِ
ودونَ شمس الفجرِ
والفجرُ اشتهاءٌ للسفَر!
ويجيءُ صوتُك مُثقَلاً بالبُعد
يمتدُّ احتراقاً موجِعاً بيني وبيني
والصدى المَحنيُّ يعبر غفلة الحُراس
عند البابِ يبلُغُني
فأبصر رعشة الصوت المُحاذِر
من بصَر:
- أغمِضْهما عينيكَ.
- أغمضتُ.
- استبِقْ جفنيكَ، مُدَّهُما.
- مددْتُ.
- وهاكَ فوقهما أمدِّد قبلتي
وأغيب...
حُكمي أن أغيب!

* * *

وأعود أقرَع بابَك المَرصودَ
في وجهي
ووجهي مدرِكٌ أني أخيب
ويخيب في لهَفي السؤال
وعلى جبيني خَتمُ كل العاشقينَ
قطَفْتُه من ضوء هامات الجبال
وأتيتُ من دورَان هذي الريحِ
أدعوكِ.
استجيبي للدُعاء...
تشتاق نفسي للضياءِ
ونور وجهكِ هالةٌ عبر العصورِ
وليس يبلُغُني الضياء...
من جَدب صحرائي، إليكِ أتيتُ
ألتمس الحنان
أحرقتُ خلفي كلَ جسرٍ
- ليس لي رُجعى -

وها يبِسَتْ كرومي والدوالي هاجرَتْ
وتشقّقَت خلفيِ الخوابي
عند أبواب المعَاصرْ.
ووَقفتُ بين يديكِ أسألُكِ اتحاداً
للعناصرْ.
جسدي يضيق لوسع هذا الكون بي
علَّ اتحادي فيك ينقذُني إلى
وسع الحياة!
هوذا دُعائي امتدَّ درباً بيننا
والحُب بات لديكِ طقسَ عبادةٍ
هاتي حنانَكِ «هللويا» للصلاة!

* * *

. . . ويَخيب دهرٌ عند بابكِ جاثياً
عينايَ مغمضتانِ من ولَعٍ
وبابُكِ مغلَقٌ دون الصباح. . .
ويعود صوتُكِ حافياً:
ـ كُفَّ النداء.
فردوسنا المَفقود والمَوعود
أحلى أن نُواعَدَهُ ونُحْرَمَهُ
فلا يأتي اللقاءُ
ولا يكون لنا صباح.

* * *

ويظل فيَّ صَمتُ الخيبة الوُجعى
فيندى من جبيني وشمُ كل العاشقين!
أيكون أنّ النار في البركان
أشهى قبل يطفئُها المَوت
أنصاباً تَعالى من جَليد؟
لكنَّ قمحَ الحقل أخصَبُ أن يبادره الجنى
فتظلَّ في بال الحَصاد سنابلٌ جَوعى
تطرِّز حلمها بمواسم الخصب الجديد!
أيكون أنّ شذا البخور
يضيع حين يضوع في النفَث
البديد؟
لكنَّ في بال الصلاة البِكر وَجْداً
يستعيد البدءَ أبهى
كلما صلّاه جاثٍ تائباً
يهفو إلى الوجه البعيد!
أيكون بي «سيزيفُ» يلهث
بعد آلافٍ من السنوات
كي أقضي العقوبة عن جميع العاشقين؟
أتكون صخرتُهُ عذابي:
من عميق الوادِ أرفعها
وقمةُ بابكِ المرصود ترفضها
فأرجِع بعد آلافٍ من السنوات
أبدأ من جديد؟

* * *

أخشى يجاوزني الزمان المُرُّ
ينساني شريداً عند قارعة
الزمان
ويذوب عمري عند بابكِ جاثياً
وأنا
ـ يعلّلني انتظار شروق بابكِ من
غياب ـ
عيناي مغمضتانِ من شغَف الصلاةِ
وأنتِ قلبُكِ موصَدٌ بالسر
بابكِ موصَدٌ بالسر
يُغلِق دون شمس الفجرِ
باباً
تلو بابٍ
تلو باب. . .

بحيرة الليمون ـ فلوريدا
(الولايات المتحدة)